العدد ٢٠٢٠/١١

الأحد ١٥ آذار

الأحد الثاني من الصوم

(أحد القديس غريغوريوس بالاماس)

تذكار الشهيد أغابيوس ورفقته

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السادس

الرسالة

(عبرانيين ١: ١٠-١٤؛ ٢: ١-٣)

أنتَ يا ربُّ في البدءِ أسَّستَ الأرضَ والسمواتُ هي صُنعُ يدَيْك* وهي تزولُ وأنتَ تبقى وكلُّها تَبلى كالثوبِ* وتَطويها كالرداءِ فتتغيَّرُ وأنتَ أنتَ وسنوكَ لن تَفنى* ولِمَنْ من الملائكةِ قالَ قطُّ اجلِسْ عن يميني حتى أجعلَ أعداءَكَ موطِئاً لقدَمَيْك* أليسوا جميعُهم أرواحاً خادِمةً تُرْسَلُ للخدمةِ من أجلِ الذينَ سيرثونَ الخلاص* فلذلك يجبُ علينا أن نُصغي إلى ما سمِعناهُ إصغاءً أشدَّ لئلاً يسرَبَ من أذهانِنا* فإنَّها إن كانتِ الكلِمةُ التي نُطِقَ بها على ألسِنةِ ملائِكةٍ قد ثبَتت وكلُّ تعدٍّ ومعصيَةٍ نالَ جزاءً عدلاً* فكيف نُفلِتُ نحنُ إن أهمَلنا خلاصاً عظيماً كهذا قد نُطِقَ به على لسان الربِّ أولاً ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذينَ سمِعوه.

أنهِضْ يا ربّ نفسي المخلَّعة

عندما أُسلِم يوحنّا المعمدان، ترك يسوعُ الناصرةَ وسكن في كفرناحوم، على حسب ما جاء في إنجيل متى (٤: ١٣). شهدت هذه المدينة عدّة أحداث من حياة الربّ يسوع، منها شفاء المخلّع الوارد في إنجيل اليوم. إسم «كفرناحوم» يعني «قرية النياح» أو «التعزية»، وفيها عزّى الربّ كثيرين بتعليمه الذي أنار حياة الناس، وعجائبه الكثيرة التي منحت الشفاء لمرضى كثيرين. نحن بدورنا، إن توجّهنا إلى المكان الذي يسكن فيه الربّ يسوع، ننال تعزية إلهيّة سريعة مهما كثرت آلامنا وأحزاننا.

عندما سُمع أنّ الربّ يسوع في بيتٍ، إجتمع كثيرون حوله «للوقت» ليسمعوا كلماته وينالوا شفاء. تشير عبارة «للوقت» إلى أنّ الناس، حالما علموا بحضور الربّ، سارعوا بكثافة وملأوا البيت وكلّ ما حوله. بسبب كثرة الأحزان والصعوبات التي نواجهها في هذه الحياة، صار الناس بحاجة إلى تعزية سريعة، لذلك تسابقوا ليحصلوا على بركة الربّ يسوع. نحن، بدورنا، علينا الإسراع لكي نقترب من المسيح وننال موقعًا بالقرب منه لكي نسمع تعاليمه. نعرف أنّنا نستطيع لقاء الربّ في الكنيسة، وفي الكتاب المقدّس، وفي الصلوات، وفي الآخَر المحتاج، لكنّنا نرى أحيانًا أنّ هناك عوائق مختلفة تقف في دربنا، وقد لا يبقى أمامنا سبيل للوصول إلى مبتغانا سوى أن ننقب سقف البيت كما فعل الرجال الذين حملوا المخلّع.

يلبس الإنسان المؤمن صورة المسيح في سرّ المعموديّة، وتنزرع هذه الصورة فينا بواسطة الروح القدس، وتنمو وتتغذّى بالصلوات وبالمناولة المقدّسة عندما نتّحد بجسد المسيح ودمه. لذلك، كلّ مَن يريد لقاء المسيح عليه البحث عنه في قلبه، لأنّ بيت الإنسان الداخليّ هو القلب. هذا ما يؤكّده الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية: «أمّا البرّ الذي بالإيمان فيقول هكذا: لا تقل في قلبك مَن يصعد إلى السماء؟ أي ليُحدر المسيح، أو مَن

يهبط إلى الهاوية، أي ليُصعد المسيح من الأموات، لكن ماذا يقول؟ الكلمة قريبة منك، في فمك وفي قلبك» (رو ١٠: ٦–٨). أمور كثيرة في قلب الإنسان قد تعيقه عن لقاء الربّ. لذلك، على المؤمن أن يفتح قلبه ويزيل منه كلّ ما يغطّي صورة المسيح المزروعة فيه، لهذا يطلب منّا الربّ في سفر الأمثال أن نكرّس قلوبنا له: «يا ابني أعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي» (٢٣: ٢٦).

في كفرناحوم، نقب الرجال الأربعة الذين يحملون المخلّع سقف البيت، وأنزلوه أمام الربّ. هذا العمل فيه الكثير من المخاطر، لكن لا بدّ من المخاطرة في سبيل الوصول إلى المخلّص، ذلك لأنّ الإنسان لا يحصل على الشفاء إن لم يحاول الوصول إلى الطبيب. نستطيع أن نشبّه حركة النزول إلى البيت هذه بتعليم آباء الكنيسة عن الصلاة ونزولها إلى القلب، حيث يشدّدون على أنّ الصلاة قد نردّدها في الفكر واللّسان بدايةً، لكن يجب أن تنحدر مع الوقت إلى القلب لتُثمر، فيصير الإنسان بكلّيّته في حالة صلاة. في الصلاة، نفتح قلوبنا لله، أي نكشف النقاب عن القلب وندخل إلى أعماق إنساننا الداخليّ في سعينا للقاء الربّ.

بعدما خاض المخلّع هذه المخاطرة ووصل إلى الربّ يسوع، قال له الربّ ناظرًا إلى الإيمان الذي حمله إليه: «يا بنيّ مغفورةٌ لك خطاياك». عندما يسعى الإنسان بإيمان وتواضع للقاء الربّ، ينال الشفاء، لأنّ الربّ لا يرذل القلب المتخشّع والمتواضع (مز ٥٠: ١٧). شفاؤنا الأساسيّ هو من خطايانا التي تجعلنا مخلّعين، لذلك تعلّمنا كنيستنا المقدّسة أن نصلّي هكذا: «أنهض يا ربّ بعنايتك الإلهيّة نفسي المخلّعة بأنواع الخطايا والأعمال القبيحة» (من صلاة تقديس الزيت).

حركة النهوض والارتفاع تسبقها حتمًا حركةُ نزول وتواضع حسبما يؤكّد ربّنا يسوع المسيح بقوله: «من يرفع نفسه يتّضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (مت ٢٣: ١٢). لقد منح الربّ المخلّعَ مغفرة الخطايا، لأنّه يعرف أنّ شفاء القلب هو أهمّ من شفاء الجسد. فالقلب هو عالمنا الداخليّ غير المنظور، وفي حال مرض الروح لا تعود الصحّة الجسديّة تنفع شيئًا.

أتى شفاء المخلّع جسديًّا، في ختام الإنجيل، كدلالة على حقيقة شفاء القلب، وعلى أنّ الربّ يسوع هو ابن الله الذي يقدر أن يمنح شفاء النَّفس والجسد لكلّ الملتجئين إليه.

القدّيس كيرللّس الأورشليميّ

تحتفل كنيستنا المقدّسة، في ١٨ آذار، بتذكار القدّيس كيرللّس الأورشليميّ، الذي عاش في القرن الرابع، ورعى كنيسة أورشليم منذ انتخابه أسقفًا عليها سنة ٣٥١، حتى رقاده سنة ٣٨٦. يشهد مؤرّخو ذلك الزمان على أنّ القدّيس كيرللّس كان رجل سلام، وديعًا ومتواضعًا، صبَّ اهتمامه، طيلة فترة رعايته، على حسن تهيئة الموعوظين لاقتبال المعموديّة المقدّسة، وعلى بنيان المؤمنين وتحصينهم. في زمانه، كان الوافدون الجُدُد إلى الإيمان القويم كثيرين، كما كان معلّمو

الإنجيل

(مرقس ٢: ١–١٢)

في ذلك الزمان دخل يسوعُ كَفْرَناحومَ وسُمع أنَّه في بيتٍ* فللوقت اجتمعَ كثيرون حتى إنَّه لم يعُدْ موضعٌ ولا ما حولَ الباب يَسَعُ وكان يخاطبهم بالكلمة* فأتوا إليهِ بمخلَّعٍ يحمِلهُ أربعةٌ* وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه بسبب الجمع كشفوا السقف حيث كان. وبعدما نَقَبوهُ دلّوا السريرَ الذي كان المخلَّعُ مضطجعاً عليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* وكان قومٌ مِنَ الكتبةِ جالسين هناك يفكّرون في قلوبِهِمْ ما بالُ هذا يتكلَّمُ هكذا بالتجديف. مَن يقدِر أنْ يغفِرَ الخطايا إلَّا اللهُ وحدَهُ* فللوقت علمَ يسوعُ بروحِه أنَّهم يفكّرون هكذا في أنفسِهم فقال لهم لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم* ما الأيسرُ أن يُقال مغفورةٌ لك خطاياك أم أنْ يُقالَ قُمْ واحمِلْ سريرَك وامشِ* ولكن لكي تعلَموا أنَّ ابنَ البشر لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفِرَ الخطايا قال للمخلَّع* لك أقول قُمْ واحمِلْ سريرَك واذهب إلى بيتك* فقام للوقتِ وحمَلَ سريرَهُ وخرجَ أمامَ

الجميعِ حتى دهِشَ كلُّهم ومجَّدوا اللـهَ قائلين ما رأينا مثلَ هذا قطُّ.

تأمل

«أنت يا رب في البدء أسست الأرض، والسموات هي صنع يديك».

أنت يا مَن يُريد أن يعرف لماذا لا يمكن إدراك الطبيعة الإلهية، إسمع بالحري اعتراف إيمان الفتيان الثلاثة في أتون النار: «مبارك أنت أيها الناظر الأعماق، الجالس على الشيروبيم» (دا ٣: ٥٥). قل لي ما هي طبيعة الشيروبيم، ثم تأمل في الجالس عليها!... وبما أننا لا نستطيع أن ندرك طبيعة الله، نستطيع على الأقل، لدى رؤية أعماله، أن نرنم بتسابيحه ونُشيد بذكر مجده.

إني أبسط لكم ذلك لتتبعوا قانون الإيمان حسب ترتيبه. فإننا نقول: «أؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى» حتى نتذكّر أن أبا ربنا يسوع المسيح هو نفسه الذي صنع السماء والأرض، وحتى ندافع عن أنفسنا ضدّ وقاحة الهراطقة الكفرة الذين تجرّأوا على التجديف على حكمة مهندس هذا العالم بأسره، الذين ينظرون بأعين أجسادهم، الهرطقات ناشطين أيضًا. هذا الجوّ المعقَّد، جعل القدّيس كيرللّس يحرص بحكمة، مع تشدّدٍ في مسائل العقائد الشريفة، على تجنيب الوافدين الجدد والمؤمنين خطر الضياع في الجدالات العقائديّة التي كانت قائمة آنذاك. هذا التحفّظ الرعائيّ المقصود جعل الآريوسيين يظنّون أنّ الأسقف القدّيس في صفّهم، فهادنوه في أُولى سنواتِ رعايته.

أهمّ ما وصل إلينا من كتابات القدّيس كيرللّس ٢٤ عظةً محورها سرّ المعموديّة المُقَدَّس، ألقاها في كنيسة القيامة على الموعوظين وعلى المُعَمَّدين الجُدُد، ولعلّها أثمن ما بقي لنا من الأدب الكنسيّ آنذاك. هناك أيضًا رسالة منه إلى الإمبراطور قسطنديوس، يروي له فيها تفصيليًّا ظهورًا نورانيًّا للصليب الكريم في سماء أورشليم، صباح أحد العنصرة العظيم في ٩ أيّار ٣٥١: «كان مرئيًّا فوق الأرض عدّةَ ساعات، وتلألأ نوره أبهى ضياءً من أشعّة الشمس، ورآه رجال ونساء من كلّ الأعمار، لا مسيحيّون فقط بل وثنيّون أيضًا وغرباء عن أورشليم».

طبعًا، لا يسعنا هنا الخوض تفصيليًّا في عظات القدّيس كيرللّس، حول التهيئة لاقتبال المعموديّة والحفاظ عليها وتفعيلها، لا سيّما أنّ من يقرأها بسطحيّة قد يظنّ أنّه غير معنيّ بها لمجرّد أنّه اعتمد وهو طفل. لقد صارت المعموديّة المقدّسة، في لا وَعي الكثيرين، مجرّد طقس شكليّ، في حين أنّها، في وجدان الكنيسة وعقائدها وتعليمها، تنقل الإنسان من حالة الوجود بحسب الطبيعة (كأيّ كائن حيّ)، إلى حالة الحياة بحسب النعمة الإلهيّة، والسَّير في الكمال «إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣). يقول القدّيس كيرللّس في أولى هذه العظات: «أرجو أن تتأمّل عظمة عطايا المسيح التي يشرِّفك بها. لقد كنتَ تدعى «موعوظًا»، كنتَ تسمع الكلمة تدوّي حولك من الخارج، كنتَ تسمع الرجاء ولا تدركه، تسمع عن الأسرار ولا تفهمها، تسمع الأسفار المقدّسة ولا تلمس أعماقها. هوذا لا يعود الصدى يدوّي حولك، بل يكون في داخلك، لأنّ الروح الساكن فيك (رو ٨: ٩–١١) يجعل من ذهنك بيتًا لله». لا بدّ من الانتباه إلى أنّ هذا الكلام، الموجَّه أصلًا إلى الموعوظين، يخاطب اليوم والدَيّ الطفل المُعَمَّد وعرّابَيه الذين أصبحوا، أمام الله، المسؤولين عن نموّه في نعمة معموديّته وعن حفاظه عليها وتثميرها.

يقول القدّيس كيرللّس، في العظة التمهيديّة نفسها، إنّ الله سخيٌّ جدًا في هِباته، لكنّه ينتظر الإرادة الصالحة لكلّ أحدٍ، مستشهدًا بقول الرسول بولس: «إنّ كلّ الأشياء تعمل معًا للخير للّذين يحبّون الله، الذين هم مدعوّون بحسب قصده» (رو ٨: ٢٨). أي إنّ خلاص «كلّ أحد»، بنعمة المعموديّة المُقَدَّسة الموهوبة من الله بسخاء (بلا استحقاق منّا وبلا تمييز منه)، هذا الخلاص هو في القصد الإلهيّ أصلًا. لقد سخَّر الله «كلّ الأشياء» لكي «تعمل معًا للخير»، أي لإتمام قصده الخلاصيّ. بمعنى آخر، سخَّر الله لكَ كلّ ما يُمكن أن يساعدك على أن تَعي، بكامل كيانك، عظمة النعمة التي في المعموديّة المُقَدَّسة وأهمّيّة الحفاظ عليها وتفعيلها باستمرار، وأن تَعي في

الوقت عينه خطورة التهاون فيها أو إهمالها. إلّا أنّ الله ينتظر إرادتك الصالحة. هذا الكلام الذي كان موجَّهًا أساسًا إلى المُتَهَيّئين للمعموديّة المقدَّسة (الموعوظين)، يصلح تمامًا في أيّامنا هذه، حيث نرى أنّ «مسيحيّين» كُثُرًا هم أقرب إلى الموعوظين منهم إلى المؤمنين. ثمّة مَن اعتمدوا وهم أطفال، ويعيشون مسيحيّتهم بسطحيّة ورتابة، إن لأنّهم يفضّلون ما للدنيا ويحاولون إرضاء الله ببعض الممارسات السطحيّة، أو لمجرّد أنّهم متهاونون في العزم على تثمير ما زرعته فيهم المعموديّة. الأوّلون شبّهَهم القدّيس كيرللّس بسيمون الساحر (أع ٨: ١٣)، الذي «نزل بجسده (في المعموديّة) وصعد، أمّا نفسه فلم تُدفَن مع المسيح ولا قامت معه». أمّا الآخرون فتنطبق عليهم قصّة الإنسان الذي أتى إلى وليمة عرس ابن الملك ولم يكن لابسًا لباس العُرس (مت ٢٢: ١١–١٤). في الحالتين، بحسب القدّيس كيرللّس، هم «يجرّبون» نعمة الله، والله «غير مجرَّب بالشرور» (يع ١: ١٣). كما أنّه، في الحالتين، لا ينفع التذرّع بالجهل أو بعدم القُدرة. قلنا أعلاه إنّ الله جعل «كلّ الأشياء تعمل معًا للخير» من أجل إتمام قصده الخلاصيّ لـ«كلّ أحد»، وتبقى العبرة في الإرادة الصالحة.

توبوا

التوبة موضوع لا يَعتق ولا ينتهي أبدًا. ليس للإنسان أن يتكلّم على هذا الأمر بحسب وجهة نظرٍ ولكن بحسب وجهة حياةٍ بشكل رئيس. لا يوجد أبدًا في هذا العالم من يقول: «يكفيني الآن، لم أُعد بحاجة إلى التوبة». إذا وُجِدَ مَن يقول هذا القول، فعلى الأرجح ثمّة وضع لا يسير على ما يرام. فكّرتُ في أن أُبرِزَ لكم، أيُّها الأحبّة، بعض الأمور. الموضوع في النّهاية هو أن ينيرنا الله لكي نتَّعظ بما يشاؤه هو، وما تحتاج إليه نفوسنا.

يخبرنا العهد الجديد أنّ السيّد المسيح ترك اليهوديّة بعد التجارب وذهب إلى الجليل، ترك النّاصرة وذهب إلى موطنه الجديد كفرناحوم حيث ابتدأ بالوعظ. ما كانت أولى عظاته؟ «توبوا فقد اقترب ملكوت السموات» (مت ٤: ٧). هكذا بدأ عمله العلنيّ. إلاّ أنّ السيّد ختم عمله على الأرض بتوصيته الرّسلَ بأن يكرزوا للأمم جميعها بالتوبة ومغفرة الخطايا. يقول الإنجيلي لوقا: «وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم» (٢٤: ٤٧)، أي أن يبدأوا بالكرازة من أورشليم إلى أقاصي العالم. لكي نفهم بشكل أفضل السّبب الذي جعل السيّد يبدأ عمله على الأرض ويُنهيه بعظةٍ عن التوبة، نحتاج العودة إلى أيّام الإنسان الأولى.

من كتاب «أين أنت يا آدم»
للأرشمندريت سيميون كرايوبولُس

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei
أو
www.quartos.org.lb

وقد حُرموا من أعين الروح...

إذا نظرنا إلى تكوين الشمس، ألا نجد فيها ما يدعو إلى العجب! إنها تبدو كقرص صغير، لكنها مزوّدة بقوّة هائلة (سيراخ ٤٣: ٢–٥). إنها تظهر في الشرق وترسل ضوءَها حتى إلى الغرب. لقد قال صاحب المزامير في وصف شروقها عند الصباح: «إنها كالعروس تخرج من خدرها» (مز ١٨: ٦). تأمّل أيضًا في وظائفها (أو تأمّل بالحري في تدابير الذي حدّد لها دورانها) وانظر كيف أنها تشرق مرتفعة في الصيف وفي الباكر، فيطول النهار، مما يتيح للبشر وقتًا أكثر للعمل. أما في الشتاء فهي تبطئ دورانها بالعكس، لا لإطالة زمن البرد، بل لإطالة الليل حتى يستريح البشر، فيعملون في إثمار الأرض من بذور ونبات. أنظر كيف أن الأيام تتعاقب بانتظام: فهي طويلة في الصيف وقصيرة في الشتاء، ويتساوى الليل مع النهار في الربيع والخريف. هذه جميعها تصرخ في آذان الهراطقة الصمّ من خلال نظامها، وتقول إنه لا إله سوى الذي خلق الكون ونظّم ودبّر كل شيء.

القديس غريغوريوس بالاماس